dvd4arab.com

سيف يد

حين استقر على الآن : بدأت الرعشة . ارتعاش الجسد غير مهم ، الشقاه لن يستعملها ، الأسنان لو حتى اصطكت سيكتم الصوت. المهم يده . أصابعه ، قبضته . إنها ترتعش كما لم يحدث لها أو له في حياته ليس ارتعاشا فقط ، لكأنه الشلل الرعاش ، فهو بالضبط و ساعة قرر ليس في بدنه ذرة قوة . لو دفعه طقل حتى لسقط فليكن القرار تم . فلكن تم . ما فائدته والتنفيذ هو القرار . لحظة التنفيذ هي الفيصل بين من كان و من يريد أن يكون . قط لم يفعلها . قط لم يفكر في فعلها . وإنما عاش يرفضها ، يتبذها ، يشمئر منها . الآن قد أصبح تماما بجواره . الرعشة تفضي إلى ما لا نهاية . اصغر وجهه لايد . القرار بملأ ملاعه . واضح . محدد . صارم ، لم يبق له إلا التنفيذ ، والرعشة تلخي كل شيء . الدهشة تأتيه من السعين الأخرى . دهشة تكبرها وتجمعها عدمات النظارة . لو تراجع

ضاع ، فلتكن المرة الأولى ، ما أكثر ما تفعل أشياء تبدؤها لأول مرة دون أن يصيبنا كل هذا الرعب ، قليضع العمر كله في الذراع ، ولكن الذراع ثقبل ككتلة مسلع ، العمر أثقله، وعليه ، رغمم ارتعاشه ، أن يدفعه إلى أعلى ، مرتفعا به إلى أقصى ما يستطيع ، ليفعلها لمرة واحدة في عمره ، وليضع العمر كله في الذراع ..

ارتفاعة حاجب ، لمعة نكوص ضاع التردد فجاة ، فجاة أظلمت الأشياء ، تلاشت ، تمازجت وتداخلت وأصبح مع الأشياء كاثنة كتلة لا يعرف أبن هو منها أو أين هي منه . رعد أرعد . برق توهج . المؤكد أن اليد ، قوية ، مدوية ، هيطت . البرعشة تحولت ، حالما هوت ، إلى ثقل صاعق . لأول مرة في حياته تصطدم كقه بصدغ رجل . ذلك الرجل . حتى وهو طفل لا يذكر أنه صفع أحدا أو صفعه أحد . الدوى استمر ومستمر . الارتعاش امتلأت به الأذان إلى درجة الصمم . فتح عينيه . الرجل بدا أبعد ، وجهه أصقر بكثير عما يجب ، أثر أصابعه على العمد غ السمين كالمرسومة بمداد أبيض ، عيناه غاصتا فجأة للداخل ، غاصتا أكثر بكثير مما تسمح به الملامح ، قامته الطويلة بدأت تقصير ، وماضية في القصر __ هوسة فرح الدلعت . عفريت جني في داخل عنه عريد ، قبل أي شيء آخر كان نفس فراعه تلقائيا وإلى أعلى بكثير قد ارتفع . قامته هي الأخرى بدت أطول ، أضخم ، ولا لحة لأي ارتعاش .

بكتلة ثقة مباغتة فاجأله ، هو أولا أهوى . راعي أن تجيء أكثر إحكاما ، أن تصل هدفها وعيونه مفتوحة تستمتع وهي تري أين وكيف تصيب . مؤلمة تماما جاءت . مؤلمة له . فكأن أصابعه ارتطمت بكتلة من حديد . غورت أصابعه في العظم . أظافره مزقت الجلد ، تلوى بالألم . مكتوما صدر عنه الصوت . مكتوما أيضا صدر عن الرجل شيء ، لبس كلاما ، ليس استغالة ، مجرد صوت ، ذعر على هيئة صولت ، ذعر شخص صادر عن حنجرة أصابها تفس الذعر . امتلاً بدنه بالثقة ، بلغت روحه عنان السماء . كمور قبضته ، ثني ذراعه ، سيكيلها له في فكه _ مذعورا سبقه الرجل ، مِن كَتَعُه دَفِعِهِ ، تَطُوعِ ذِرَاعِهِ ، جَاءِتِ اللَّكِمَةِ فِي الْعِينِ تَمَامَا . أَحِسَ بظهر أصابعه طراوة كرة العين ماذا لو كانت انفجرت . السجن معناها . قليكن ، ليكن حتى الشتق ، حتى الشتق هو مستعد له . سيقتله. لن تحول بنه وبين قتله قوة . مهما جاع الأولاد فسيظل همادة على الأقل فخورا به . جرى الجيان والتف حول المكتب . يويد أنْ يهرب ، قليهرب ، وليحاول شنكلته ، ولكن الرجل زاغ وفتح

باب الدولاب وجعل منه سائر ١ اعتباً خلفه . من الدولاب سحب أيضا المسطرة الكبيرة . كالسيف شرعها . الشتائم من فمه بدأت لنهال ، وكل مرة ترداد شتائمه سقاقة وإيلاما ، رفع القدم ، تراجع المخلف ، استعان بالسيد البدوي وبالقوة كلها ركل الضلفة ، توالت الأهات . أهات . شتائع أهات . أهات شتائم . عويل من السياب ، خل ، ركلة أخرى ، أعنف أقوى أشد إيلاما ، عشر سنين يا مجرم ، عشر سنين أشكو لطوب الأرض وأتحمل ، تكرهنسي وأكرهك . تُمقتني ولا أطيق حتى طريقة تفصيلك لبدلك . وكلانا ف حجرة واحدة . الوجه في الوجه ، والكره يملأ الأعماق ، وعلى الملام العليا تطفح البسمات والمجاملات . ولا مرة تبادلنا غيرها . عشر سنين وأنا أشتمك للناس جيعا وأشكوك ، وتشتمني أنت لبعض الناس للممسكين بمقادير الناس وتشكو مني . وعمري ما واجهتك بشيء أقصى من تحديقة وعيد أخرس ، إذا أجبتني بمثلها ، أسحب تحديثتي فورا وأعود أغلى وأبسم وأصحت . أحيانها للكارثة ، من قمي بدل الشتاع تنطلق كلمات الملق . بخبتك تعرفها وتدركها وتعلقها أمامي تريني فيها نفسي وأنا متليس بالخضوع لك ومسح الجوخ والرياء ، وترضى ، وتبتسم ، بل وتتقمص الدور إل

حد أن تتصدق على أنت الآخر في النهاية بكلمة نصف نقاق ، إذ ثندح بنصفها شيئا تعرف وأعرف ويعرف الناس جيعا أنى لا أتسع به . ناعم أنت وذكى ، و دائما على حق ، و دائما بالقانون تخرج على القانون ، و تستطيع دائما أن تجيل ظلمك عدلا و قاعدة ، و تحيل حقى و عدلى إلى خروج على العرف و القانون . حتى لو لم أخطى ، تستدر جنى حتى أخطى ، فإذا بادرت بالتصحيح ، أطلت لى الحبل لاستدراجي لأخطى أكبر وأكثر ، تكرهني مثلما أكرهك و لكنك أقدر على كتم الحب و الكره و الحقيقة ، و اليوم قررتها ، قررت ، من حمادة وليس من أبي أو خالى أتعلم ، ويا جبان لن تنفعك المسطرة . أبدا لن تنفعك المسطرة .

ناحيته اندفع . كالقط الآدمى قفر ، هوت المسطرة بحدها الرقيع على أم رأسه . تخدر الجلد مكانها وانفلق العظم لأن السائل الذى يخترق جدور شعره لابدهو الدم ، يبسراه قبض على المسطرة . أمسكها ، استات الآخر ، لواها ، انكسرت ، أمسك بالجزء المكسور كالجنجر وصرخ هامدا وهو يغرسها في كتفه ، تمزق القميص والبئق الدم الأخمر ، حمرته فاقعة وكان دم الغضب ، دم قليل ولكته لون صدر القميص كله ، مرآه الأحمر متغلغل في الأبيض

أثاره ، كانا قد اقتربا حتى التصفا ، فليأ حدها إذن . بجانب الرأس كا سمع من حمادة ، صوبها . (روسية) اصطنعت بفكه . سمع بأذته اصطكاك العظم بالعظم . أسنانه هو أطبقت على لسانه وعورته . وتملح ريقه يطعم الدم . عشر سنوات ولاعشاء يمر دون واقعة يحكيها للزوجة عنه وأمام الأولاد الصغار ، حتى كيروا ، وهو لا يزال يمكي ، كبروة . بالعقل توصيه . لأكل العيش تنبهه ، الهدئه ، تدلك غضبه ، تتركه يمارس عليها الشخط والزجر ويتنقس . هنا فقط يتنفس ، تنفس ذليل يعرف ولكنه يدلا من انفجار المخ يفعل. حمادة السبب . أنت السبب يا حمادة . الواقعة يسيطة و كل يوم تجرى . خناقة عيال . هكذا يسمونها . خناقة لا يطيق فيها ابنه ضاربا أو مضروبا . ولقد جاء هذه المرة ضاربا ، وجاءت بالمضروب أمه . وكان لابد من عقاب عاجل . وفر حمادة واختفي حتى جاء الليل وعاد ليجده ساهرا ينظره . قبل أن يرقع عليه (الحدّاء) طالبه بأن يمنحه الفرصة . هكذا العدل . ألم يعلمه أن هكذا العدل . أحرج . اترك الجزمة . استمع تجرد الشك فقرار ضربه كان لن يتغير حتى لو الحق ممه . وإيمانه الراسخ أن الضارب والمضروب حيوانان بهمان لا يستحقان قلب الإنسان . هكذا سمع أباه يقو لها مرة و سمع خاله كثيرا ما يضمنها حكمه وأمثاله : أنا أكرهه فضربته . ولماذا الكره ؟ لأنه التم حبيت يشيع عني لدي الأولاد أني لص : لماذا لم تشكه ؟ لمن ؟

لأهله ؟ وهل يعاقب الأهل ابنهم من أجل أولاد الغير ؟ من يعاقب الابن المخطئ إذن ؟ أنا . ألت ؟! أجل أنا . وكيف إن شاء الله ؟ ناولته (سيف بد) فلكونى فضربته بالبوتية وفى نافوخه فعضنى وحاولت إماكه فطلع يجرى فشنكلته بمقص ، وقع بركت فوقه و لم أتركه إلا بعد أن قال : أنا كداب .

مد يده إلى الحذاء وقد جاء وقت العقاب ، ليست هذه طريقة لماملة اللئم ، ولا مواجهة من نكره .

أمال كنت عايزتي أعمل إيه يا أبي ؟

اشتمه مثلما شميك .

ولكه لا يشتمني أمامي . جيان ماذا أفعل ؟! .
وهل يكون الرد يسيف البد واللكمة .

وقذفه بالحذاء , أصابه في ساقه و حعله يعرج حتى بلغ الفراش .
ولكنه هو لم ينم . أبدا لم ينم . سيف اليد والمقص والبواتي كانت
تهاوج في سقف عيونه المغمضة وتنداخل و فجأة وبين الجين والحين
يندلق في سماء العين المعمضة ماء وذلك الوجه السمين المربرب الناضح
أبدا بالعرق .

أصبح بينهما المكتب مرة أخرى ، نقس المكتب الذي كان دائما بينهما في العباح هما على طرف ممتلتان بابتسامات الزيف وفي العمل بفصل بين المقالب التي يديرها لمرؤوسه ، والعرائض والشكاوي الجهولة التي يديرها لرئيسه . والآن هو موجود ولكنه لا يحول بينهما بابعده انطلقت صقعة يده كلها بوجهه بالصبع واحدة فقط صفعه ، فالأخر كان قد استدار وامتلكه وإلى صدغه وجه صفعة قوية مليئة متمكنة . أبرقت الدنيا في عينه وصغرت أذنه . أيكون هو الآخر كان ينتهز الفرص لينفجر . هذه (يونية) تصيب أذنه ، من للؤكد خرقت الطبلة . يا تذل تأخذني على خواتة ... هكذا سمعه . حذ وحذ وحذ وخذ . لم تمد علقة توى أن يمطيها ويمض بده منه ومنها أصبحت معركة تكاد تتعادل ، الآن فقط يتأكد أن الأخر ليس جبانا بالدرجة التي كان يتصورها . ذعره الأول أصبح واضحا ، إنه ذعر المفاجأة ليس إلا . الآن هو يطلب العراك . وعليه عقد العرم . ما تصوره هكذا أبدا ، طول عمره يراه قارا رعديدا لا يحتمىل الصمود لمجرد سباب وإن كان يبدو في قوة الأسد ، ولـ و . حتما سيأكلها . قارا أو أسدا سيخرج منها بعاهة مستديمة على الأقل . يجماع قوته لكمه . انشى الأخر وتأوه . وتلذذ . بركبته رفعها كالطلقة شلفطت وجهه وأسالت الدم من أنقه . اعتدل . طار صوابه واعتدل . عيونه يشع منها بريق الشر والجريمة . كالتور الهاتج أقبل ، إلى اليمين زاغ منه . ولكن لأن فراعه أطول ناله ويضرية من قدمه هوى على الأرض كالكتلة , المقص أصابتي أنا يا حمادة , فلم أكن الأسرع . الركلات تنهال كالمطر ، الجان ، بالحدّاء . يسددها

لوجهه ، فقد العقل ، فقد الإحساس بالضرب والألم . همه أصبح أن يغلب ، لو مات حتى قد غلب أو غالب لما همه ، المهم أن يخرج من الصراع غالبا ، ولو ممزقا إربا يخرج ، أمسك بالقدم ، الضربة إلى صدره ، بشدة أمسكها بيديه ويقوة عظمي ثناها . سقط الأخر يتلوى ، يتأوه ، الدقع يرقد فوقه وبيديه يحيط رقبته السميكة عازما أن يكتم للأبد ألقامه ، اختنق الوجه بالاحمرار وبحلاوة الروح دفع أصبعه السبابة في عينه . المحرم . لنكن مجر مين أصبحنا . إما قاتل أنت أو مقتول . الرعب أمده يقوة أعظم . تخلص من الأصبع ، رعب أخر جعله بالتقاض يديه بعيدا حتى ليرتطم رأسه بحامل الخزنة بل وتسقط على قدمه . تماسكا ظلا يتضاربان ، حتى لاحت فرصة وأمسك لحم كتفه بأسناته . بأتيابه ، بكل ما يملك من حقد وغيظ ، وجنون وقتوة أتشب فكيه في لحمه . أحس يطعم اللحم نفسه من خلال حرف البدلة ، صراح آخر مكتوم لم يعد يعادله إلا ضرباته . ضربات وحش لا يرحم ، عينه يحس بها أغلقت تماما و لم يعد يري يها ، أنقه تورم وبالتأكيد تدششش ، دم الأخر سال ، وبدأ يصر خ وبدأهو الآخر يصرخ ، الضرب اشتد وعنف وتشعب أهو يضرب أم يضرب ، أهو المهزوم أم التنصر ، كل ما أصبح يحمه أنه متعب وأن النعب يتكاثر عليه حتى لم يعد يقوى على أخذ النفس . أصبح همه كله أن يتنفس . لم يعد يتنفس . الهواء لا يدخل صدره . غير

قادر أن يحرك الضلوع ليدخل الهواء . على الأرض تمدد بغير حراك ، مكون ، وهناك حين استطاع بطلوع الروح أن يعود يلتقسط النفس ، بدأ يدرك أن الآخر أيضا لا يضرب ، وبنظرة شحه مكوما أسفل ركبته ، مغمض العينين ، بدأ بالكاد يلهث بالنفس ، كتلتان من الأنسجة المبعثرة والملابس الممزقة وبقع الدم ممددتان على الأرض في مكتب ليس به سواهما بعد ظهر ذلك اليوم .

من مكانه راح يرمق الآخر . عشر سنوات وهو بغير الحقد لا يرمقه . من مكانه راح ينظر إليه ويتأمل . إنه لأول مرة يرى قاع رأسه ويدوك أن الشعر في منطقة الرأس خفيف تماما ، يكاد يكون بلا شعر .

ووجد نفسه يتمتم : من كان يتصور هذا . بعد عامين على الأكثر سيكون الصلع قد شمل رأسه كله . مسكين .

dvd4arab.com